مناهج المحدثين

المحاضرة الثالثة

عنوان هذه المحاضرة

التدوين في القرن الثالث

والتعريف بمسند الإمام أحمد ومنهجه فيه

(أولًا)

التدوين في القرن الثالث

- القرن الثالث أزهى عصور السُّنَّة النبوية:

يعد القرن الثالث من أزهى عصور السُّنَّة النبوية ، إن لم يكن أزهاها.

وذلك يعود لأسباب ، أهمها :

1- نشطت فيه الرحلة لطلب العلم، وكان اعتمادهم على الحفظ والتدوين معا فكان النشاط العلمي قويًّا.

2- برز في هذا العصر كثير من الحفاظ والنقاد والعلماء الجهابذة، من أمثال: أحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين، والبخاري، ومسلم بن الحجاج، وغيرهم.

3- نشط فيه التأليف في علم الرجال ، وصنفت فيه مصنفات عدة.

4- تأسس كثير من علوم الحديث عمومًا، وعلم الجرح والتعديل خصوصًا.

5- توسع العلماء في تدوين الحديث، فظهرت كتب المسانيد ، والكتب الستة - الصحيحان والسنن الأربعة - التي اعتمدتها الأمَّة واعتبرتها دواوين الإسلام ، ولا يكاد يخرج عنها حديث من أحاديث الأحكام التي يُستعان بها في الحكم على المسائل الفقهية.

حتى لقد اقتصر دور العلماء في القرون التالية على الجمع بين كتب السابقين ، أو اختصارها ، أو تهذيبها، أو إعادة ترتيبها.

مزايا التدوين في هذا القرن:

تميز التدوين في هذا القرن بما يلي:

1- تجريد أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وتمييزها عن غيرها، بعد أن كانت قد دونت في القرن الثاني ممزوجة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

2- الاعتناء ببيان درجة الحديث من حيث الصحة والضعف.

3- تنوع المصنفات في تدوين السُّنَّة، حيث ظهرت الأنواع التالية:

أ- كتب المسانيد : التي تعنى بجمع أحاديث كل صحابيٍّ على حدة ؛ كمسند الإمام أحمد وغيره.

ب- كتب الصحاح : التي يشترط أصحابها إخراج الحديث الصحيح فقط ؛ كالصحيحين.

ج- كتب السنن : التي تعنى بتصنيف أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الكتب والأبواب ، مع العناية بأحاديث الأحكام ؛ كالسنن الأربعة.

د- كتب مختلف الحديث ومشكله : مثل كتاب : "اختلاف الحديث" للإمام الشافعي ، وكتاب "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة.

وغير ذلك الكثير من المصنفات في هذا القرن.

ولأهمية هذا القرن في تاريخ السنة فسوف ندرس سبعة من الكتب التي صُنفت فيه.

وهي:

- مسند الإمام أحمد.

- الصحيحان.

- السنن الأربعة.

ونبدأ في هذه المحاضرة بالمسند.

(ثانيًا)

"المسند" ومنهج الإمام أحمد فيه

(1)

التعريف بالإمام أحمد

(164 - 241هـ)

1- اسمه ونسبه :

هو الإمام الحافظ ، عالم السنة ، أبو عبد الله : أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، البغدادي .

2- نشأته وبدء طلبه للحديث :

نشأ الإمام أحمد - رحمه الله - في بغداد أثناء العصر الذهبي للدولة العباسية ،

وتوجه في أول أمره إلى طلب الفقه من مجلس القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ،

ثم توجه بعد ذلك إلى طلب الحديث وسماعه ، ولازال في حداثة سنه ، وهو ابن خمس عشرة سنة .

3- شيوخه :

تتلمذ الإمام أحمد على شيوخ كثيرين سمع منهم ورحل إليهم ، فقد رحل إلى البصرة ، ومكة ، والكوفة ، واليمن،

وسمع من أئمة كثيرين، من أشهرهم :

إسماعيل بن إبراهيم الأسدي " ابن عُلَّية " ، وبشر بن المفضل، وجرير بن عبد الحميد ، وسفيان بن عيينة ، وأبي داود الطيالسي ، وعبد الله بن نمير ، وعبد الرزاق ، والإمام محمد بن إدريس الشافعي ، ومحمد بن جعفر : غندر ، ومعتمر بن سليمان ، ويحيى بن سعيد القطان ، وغيرهم كثير .

4- تلاميذه :

لمنزلة الإمام في العلم روى عنه كثيرون من شيوخه وأقرانه وتلاميذه .

- فممن روى عنه من شيوخه :

البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ـ الذي أكثر عنه في السنن ـ ، وبقية أصحاب الكتب الستة رووا عنه بواسطة راوٍ آخر.

- وممن روى عنه وهم أكبر منه :

قتيبة بن سعيد ، وخلف بن هشام ، وداود بن عمرو .

- وممن روى عنه من أقرانه :

علي بن المديني ، ويحيى بن معين .

- ومن أشهر تلاميذه :

ابناه : عبد الله وصالح ، وأبو بكر الأثرم ، وبقي بن مخلد ، وحرب الكرماني ، وحنبل بن إسحاق ، وأبو جعفر الميموني ، وغيرهم .

5- مصنفاته :

ترك الإمام أحمد مصنفات عدة ، منها :

1- كتاب الإيمان .

2- كتاب الزهد .

3- كتاب العلل في الحديث .

4- كتاب الفرائض .

5- كتاب الفضائل .

6- كتاب الرد على الجهمية

7- وأعظم مصنفاته وأبقاها نفعاً هو كتابه "المسند" .

6- مناقبه وثناء العلماء عليه :

كان الإمام أحمد كريم الخلق ، نزه النفس ، فقيها ورعاً وقوراً، قال العجلي : ثقة ، ثبت في الحديث ، نزه النفس ، فقيه في الحديث متبع الآثار ، صاحب سنة وخبر .

أثنى على الإمام كثيرون منهم : الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ ، حيث قال : خرجتُ من بغداد ، وما خلفت بها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم من أحمد بن حنبل .

وقال الذهبي : عالم العصر ، وزاهد الوقت ، ومحدث الدنيا ، ومفتي العراق ، وعالم السنة ، كان رأساً في العلم والعمل ، ذا عقل رزين ، وخشية ومراقبة لله ، وذكاء وفطنة وفهم وسعة علم .

7- وفاته :

توفي ـ رحمه الله ـ في يوم الجمعة لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول ، وقال عبد الله والفضل بن زياد : من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين

(2)

التعريف بـ "المسند"

ومنهج الإمام أحمد فيه

أ- كتب المسانيد:

تعريفها:

المسند لغة: ما ارتفع عن الأرض وعلا عن السطح.
وفي الاصطلاح: أطلقه المحدِّثون على معنيين:

الأول: الحديث المسند :

قال الخطيب البغدادي: "وصفهم الحديث بأنه مسند يريدون أن إسناده متصل بين راويه وبين من أسند عنه، إلا أن أكثر استعمالهم هذه العبارة هو فيما أسند عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاصة".

وعلى هذا المعنى أطلق بعض المصنفين على كتابه: مسند، مثل "الجامع الصحيح المسند" لأبي عبدالله البخاري.

الثاني: كتب المسانيد :

وهي التي تخرج الأحاديث على أسماء الصحابة، وضم أحاديث كل واحد من الصحابة بعضها إلى بعض، مثل: مسند الإمام أحمد ، و مسند أبي يعلى الموصلي ، وغيرهما.

ب- طريقة ترتيب كتب المسانيد:

للعلماء في ذلك ثلاث طرق:

الأولى: ترتيب أسماء الصحابة على حروف المعجم من أوائل الأسماء، فيبدأ – مثلاً - بأُبيّ بن كعب، ثم أسامة بن زيد، ثم أنس بن مالك ، وهكذا إلى آخر الحروف.

الثانية: الترتيب على القبائل فيبدأ ببني هاشم، ثم الأقرب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في النسب، ثم مَنْ يليهم.

الثالثة: الترتيب على قدر سوابق الصحابة في الإسلام ومحله في الدين، فيبدأ بالعشرة ـ رضوان الله عليهم ـ، ثم المقدمين من أهل بدر، ثم يلونهم أهل بيعة الرضوان بالحديبية... وهكذا.

ج- أهم كتب المسانيد في هذا القرن:

1- مسند أبي داود سليمان بن داود الطيالسي (ت 204 هـ).

2- مسند أبي بكر بن أبى شيبة (ت 235 هـ).

3- مسند إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بـــابن راهويه (ت 238 هـ).

4- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت 241هـ).

5- مسند أحمد بن إبراهيم الدورقي (ت 246 هـ).

6- المنتخب من مسند عبد بن حميد الكشي (ت 249 هـ).

7- مسند يعقوب بن شيبة السدوسي البصري (ت 262 هـ).

د- كتاب "المسند" للإمام أحمد:

1- طريقة ترتيبه:

رتبه - رحمه الله - على قدر سابقة الصحابي في الإسلام ومحله من الدين،

فبدأ بالعشرة الخلفاء على غيرهم، ثم أهل بدر، ثم أهل الحديبية... وهكذا.

2- مكانته:

قال أحمد بن حنبل : "هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألف، وما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فارجعوا إليه، فإن وجدتموه ، وإلا فليس بحجة".

قال الإمام الذهبي: "هذا القول منه على غالب الأمر ، وإلا فلنا أحاديث قوية في الصحاح والسنن والأجزاء ، وما هي في المسند".

وقال أبو موسى المديني: "وهذا الكتاب أصل كبير، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث انتقى من حديث كثير ومسموعات وافرة، فجعله إمامًا ومعتمدًا، وعند التنازع ملجأً ومستندًا".

3- عدد أحاديثه:

اشتمل مسند الإمام أحمد على أربعين ألف حديث (40000) حديثًا بالأحاديث المكررة ، وعلى ثلاثين ألف حديث بالأحاديث غير المكررة (30000) حديثاً .

ذكرت بين هذه الأحاديث الكثيرة نحو (300) حديث ثلاثية الإسناد ، أي عالية الأسانيد ، يقع بين الإمام أحمد وبين النبي - صلى الله عليه وسلم - في الرواية ثلاثة من الرواة فقط .

لكن المتأمل في عدد أحاديث المسند في النسخ المطبوعة في المسند يجدها تصل إلى ثلاثين ألف ، بل أقل من ذلك .

وقد حاول بعض العلماء أن يذكر أسباب ذلك فيما يلي :

1- يحتمل أن النسخة المخطوطة التي اعتمد عليها في الطباعة كانت ناقصة الأحاديث .

2- أو أن بعض العلماء العادين يعد الأحاديث المروية بأكثر من إسناد واحد أكثر من حديث.

4- عدد الصحابة المخرجة مسانيدهم فيه :

عدد الصحابة المروي لهم أحاديث في المسند: سبعمائة صحابي من الرجال تقريباً ، أما الصحابيات فعددهن مائة ونيف امرأة (أي من 102 : 110) تقريباً.

- قال أبو موسى: "فأما عدد الصحابة فنحو سبعمائة رجل ومن النساء مائة ونيف" .

- وقال ابن الجزري: "قد عددتهم فبلغوا ستمائة ونيفاً وتسعين سوى النساء، وعددت النساء فبلغن ستاً وتسعين، واشتمل "المسند" على نحو ثمانمائة من الصحابة، سوى ما فيه ممن لم يسم من الأبناء والمبهمات وغيرهم".

5- شرط الإمام أحمد فيه:

أ- شرطه في الرواة :

اشترط الإمام أحمد في رواة مسنده شرطاً متسعاً : حيث روى فيه عن كل من ثبت عنده صدقة وديانته ، وإن تُكلم في البعض منهم من جهة الحفظ ، فلم يخرّج أحمد في "مسنده" إلا عمن ثبت عنده صدقه وديانته، دون من طعن في أمانته.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية:

(شرط "المسند" أقوى من شرط أبي داود في "سننه"،

وقد روى أبو داود في "سننه" عن رجال أعرض عنهم أحمد في "المسند"،

ولهذا كان الإمام أحمد لا يروي في "المسند" عمن يعرف أنه يكذب مثل محمد بن سعيد المصلوب ونحوه،

ولكن قد يروي عمن يُضَعَّف لسوء حفظه، فإنه يكتب حديثه ليعتضد به ، ويعتبر به).

ب- شرطه في المتون:

أما شرطه في متون أحاديثه فهو يتساهل في الأحاديث التي تُروى في فضائل الأعمال ولا يترتب عليها حكم ، ويتشدد في الأحاديث التي تروى في العقائد ، وفي الأحكام كالحلال والحرام.

فقد روي عن الإمام ـ رحمه الله ـ أنه قال : "إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام تشددنا في الأسانيد ، وإذا روينا عن رسول الله ﷺ في فضائل الأعمال وفيما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد" .

6- درجة أحاديثه:

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية:

(وقد تنازع الناس : هل في "مسند الإمام أحمد" حديث موضوع؟

- فقال طائفة من الحفاظ كأبي العلاء الهمداني وغيره: ليس فيه موضوع،

- وقال بعض العلماء كأبي الفرج ابن الجوزي: فيه موضوع).

قال شيخ الإسلام :

(ولا خلاف بين القولين عند التحقيق:

- فإن لفظ الموضوع قد يراد به: المختلق المصنوع الذي يتعمد صاحبه الكذب،

وهذا مما لا يعلم أن في "المسند" منه شيئاً،

- ويراد بالموضوع: ما يعلم انتفاء خبره، وإن كان صاحبه لم يتعمد الكذب بل أخطأ فيه،

وهذا الضرب في "المسند" منه).

7- أقسام أحاديث المسند:

قال الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الساعاتي – رحمه الله - :

(بتتبعي لأحاديث "المسند" وجدتها تنقسم إلى ستة أقسام:

الأول: ما رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه سماعاً منه،

وهو المسمى "مسند الإمام أحمد"، وهو كبير جدًا يزيد على ثلاثة أرباع الكتاب.
الثاني: ما رواه عبد الله عن أبيه وغيره،

وهو قليل جدًا.

الثالث: ما رواه عبد الله عن غير أبيه،

وهو المسمى عند المحدثين بزوائد عبد الله وهو كثير بالنسبة للأقسام كلها عدا الأول.

الرابع: ما قرأه عبد الله على أبيه ولم يسمعه منه،

وهو قليل.

الخامس: ما وجده عبد الله في كتاب أبيه بخط يده، ولم يقرأه ولم يسمعه،

وهو قليل أيضًا.

السادس: ما رواه الحافظ أبو بكر القطيعي عن غير عبد الله وأبيه

وهو أقل الجميع).

8- ميزاته :

تميز "المسند" بميزات عديدة ، منها :

أ- أنه أكبر مصنف للأحاديث الشريفة في القرن الثالث الهجري ، جمع هذا القدر الكبير من الروايات الحديثية.

ب- اختيار الإمام أحمد أحاديث مسنده بنفسه ، حتى خلت من الموضوع المكذوب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم -.

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : "لا يشك منصف أن مسنده أنقى أحاديث وأتقن رجالاً من غيره" .

ج- اشتماله على ثلاثمائة حديث عالية الأسانيد ثلاثية الرواة.

د- اشتمال المسند على كثير من الصحف الحديثية التي يُستدل بها على التدوين المبكر للسنة .

وأشهر هذه الصحف : صحيفة همام بن منبه المسماة بـ "الصحيفة الصحيحة" أو " الصحيفة الصادقة " .

وقد رواها همام - رحمه الله - عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ.

وقد رواها الإمام أحمد بإسناد واحد ، حيث قال : حدثنا عبد الرزاق بن همام، قال: حدثنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ ... ثم رواها حديثاً حديثاً .

9- عناية العلماء بالمسند:

هناك جهود كثيرة خدم بها العلماء المتقدمون والمتأخرون المسند .

وهذه نبذة عن بعض هذه الجهود :

1- رتبه على الأطراف : الحافظ ابن حجر ، وسماه: "إطراف المُسنِد المُعتَلِي بأطراف المُسند الحنبلي" .

2- ترجم لرجاله : الحافظ شمس الدين الحسيني في كتابه: "الإكمال بمن في مسند أحمد من الرجال ممن ليس في تهذيب الكمال".

3- رتبه على الكتب والأبواب : الشيخ أحمد عبد الرحمن الساعاتي -رحمه الله تعالى- ؛ ليسهل بذلك على طلبة العلم الاستفادة من المسند ،

وسماه "الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني" ،

ثم عاد وشرحه وخرج أحاديثه في كتاب سماه : "بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني" .

وكلاهما مطبوع.

4- اعتنى به : أيضاً الشيخ أحمد محمد شاكر -رحمه الله تعالى-:

فشرح غريبه،

وحكم على أحاديثه صحة وضعفاً بما أوصله إليه اجتهاده،

ثم صنع له فهارس قسمها إلى قسمين:

فهارس لطيفة كفهارس الأعلام ونحوها،

وفهارس علمية كتلك التي صنعها في "الرسالة" للشافعي،

وقد توفي - رحمه الله تعالى - قبل أن يكمله.

10- طبعات "المسند" :

1- الطبعة الميمنية :

صدرتْ عن المطبعةِ الميمنية بمصر المحروسة، قريبًا من الجامع الأزهر، سنة 1313 هـ ،

وبحاشيته : منتخب «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» للمتقي الهندي،

وتقع هذه النسخة في ست مجلدات كبار،

وقد عُني بتصحيحها محمد الزهري الغمراوِي.

2- طبعة فضيلة الشيخ أحمد محمد شاكر:

وهو أحد أعلام الحديث في مصر والعالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الهجري،

وعمله في تحقيق المسند عملٌ علميٌّ رائدٌ،

فقد رقَّم أحاديثه، وخَرَّجها، وتَكلَّم على أسانيدها، وبَيَّن أحوال كثير من رواتها، وأَوْضَحَ مشكلاتها، وصنع لها فهارس دقيقة،

فخرج المسند لأول مرةٍ في حُلةٍ بهية تليق بمكانته العظيمة،
لكن هذه الطبعة لم تكتمل، فقد توفي الشيخ شاكر - رحمه الله - قبل أن يخرج ثلث المسند .

3- طبعة مؤسسة الرسالة :

وصدر أول أجزائها عام 1413هـ - 1993م ، وصدر آخر أجزائها عام 1427هـ - 2007م،

بتحقيق فضيلة الشيخ شعيب الأرنؤوط وجماعة ، وإشراف معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.

وعدد مجلداتها : 52 مجلدًا ، منها سبعة للفهارس.

وهي أفضل الطبعات الكاملة للمسند في الجملة،

وجاءت أكمل من كل الطبعات السابقة عليها،

مع ترقيم الأحاديث، والحُكم على أسانيدها، والتوسع في تخريجها، وذكر الشواهد والمتابعات لها،

وقد بذل المحققون جهدًا كبيرًا، فجزاهم الله خيرًا.

‘‘‘

بتوفيق للجميع

Khaled